جامعة زيان عاشور بالجلفة كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم علم الاجتماع المستوى :سنة ثانية علم اجتماع

مقياس : قضايا دولية راهنة الموسم 2023-2024

الموضوع : راهن القضية الفلسطينية بين التسوية والتصفية

دعونا في البداية نعترف أنه سيكون من الصعب جدا تلخيص صراع وقضية تمتد لأكثر من قرن من الزمن ،وتكتنفها تعقيدات كبيرة .ويتشابك فيها الدين مع السياسة مع الاقتصاد...إلخ.

ومع ذلك سنحاول تناول هذه القضية ضمن محطات تاريخية معلمية في مسار هذه القضية وصولا إلى راهنها.

1. بداية تبلور المشروع الصهيوني على أرض فلسطين (1897-1917) :

في إطار التحضير للاحتفال بمرور 75 عام على تأسيس دولة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين،تم عقد مؤتمر بمدينة بازل السويسرية يوم22 اغسطس 2022 ،وقد كان شعار المؤتمر((**إذا ما أردتم ،فلن يظل حلما**))....

وعند محاولتنا معرفة مصدر هذا الشعار وجدنا أنه نفس الشعار الذي استخدمه المؤسس الأول للحركة الصهيونية(تيودور هرتزل) في المؤتمر التأسيسي للحركة الصهيونية في مدينة بازل السويسرية،وذلك يوم 29 اغسطس 1897 .

فاستدعاء المنظمون الصهاينة للشعار بعد كل هذا الزمن ،إنما كان يهدف إلى التأكيد على تحول الحلم الصهيوني إلى واقع .

من خلال ما تقدم، يمكن لنا أن نتساءل :

كيف قام هذا الكيان ؟ ما هي المراحل التاريخية التي مرت بها القضية الفلسطينية ؟وما هو راهنها ؟

بدأنا هذا السرد بشعار وحلم..كان يبدوا حينها ضربا من الجنون حتى بالنسبة لقائله حيث نجده يقول : ((**إذا أردت أن أوجز مؤتمر بازل في كلمة واحدة فستكون كالآتي : لقد أسست في بازل الدولة اليهودية..وإذا قلت ذلك بصوت عال اليوم،فسأقابل بضحك عام،ولكن الكل سيدركون ذلك في غضون خمس سنوات وبالتأكيد في غضون خمسين سنة**).

إذا فهذا الحلم لم يقف عند التخيل والتمني بل وضع موضع الفعل على أرض الواقع ،حيث كان الهدف ايجاد وطن قومي لليهود في العالم ،يخلصهم من الشتات الذي يعيشونه في العالم.

إلا أن اختيار فلسطين كوطن قومي لليهود لم يكن الخيار الأول لهرتزل- حيث كان يميل لاختيار الارجنتين- ،بل إنه لم يتبلور في ذهنه إلا في أواخر مشروعه.حيث وقع اختياره على فلسطين نظرا للاعتبارات التالية :

1. قدسية فلسطين في الديانة اليهودية ،أين يمكن استغلال العاطفة الدينية لليهود من أجل تشجيعهم على الهجرة إليها خاصة الفلاحين والفقراء منهم ..فالنسبة لهم فلسطين هي أرض الميعاد.
2. جلب الدعم الغربي لهذه الفكرة ،فوجود دولة ذات طابع وولاء غربي سيجعلها حائط صد أولي في مواجهة آسيا،لتقف أمام أي صحوة حضارية في تلك المنطقة قد تهدد مصالح الغرب..فوجود دولة يهودية على أرض فلسطين سيكون له دور وظيفي مهم للغرب ،لذلك سيكون من واجب الغرب دعمها وضمان وجودها . (وربما تصريحات بايدن الأخيرة توضح هذه الفكرة ..**لو لم تكن اسرائيل موجودة لأوجدناها**).

وفي سياق المشروع الصهيوني بدأت الدعاية الصهيونية بشعار يقول (**أرض بلا شعب ،لشعب بلا أرض**).

وانتشر هذا الشعار بقوة ،وحاول المؤسسون الأوائل الاتصال بمختلف الحكومات الغربية وقتها لإقناعهم بالمشروع ،وكان في مقدمة هؤلاء حاييم وايزمان ،الذي كثف اتصالاته بالحكومة البريطانية حينها من أجل أن تضم فلسطين تحت نفوذها تحضيرا لزرع المهاجرين والمستوطنين اليهود هناك..ورسالة وايزمان التالية توضح ذلك : (..**إذا وقعت فلسطين في منطقة النفوذ البريطاني،وإذا ما شجعت بريطانيا مستوطنة يهودية هناك،بوصفها تابعة لبريطانيا،فسيكون في الامكان أن يوجد لدينا في غضون مدة تتراوح بين عشرين وثلاثين عاما مليون يهودي هناك،وربما أكثر من ذلك..وهم سيشكلون حارسا شديد الفعالية لقناة السويس**).

وقد توجت هذه الجهود بالحصول على وعد من وزير الخارجية البريطاني آنذاك ((آرثر جيمس بلفور)) ،يقضي بتأييد بريطانيا لإنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ،وصدر هذا الوعد في 02 نوفمبر 1917 .

2.مرحلة الانتداب البريطاني (1917-1947)

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وضعت عصبة الأمم فلسطين التي كانت من بين الاراضي العثمانية السابقة تحت ادارة بريطانيا في عام 1922 ،وخلال الفترة من 1922-1947 ،حدثت هجرة يهودية واسعة النطاق معظمها قدمت من أروبا الشرقية .وتضاعفت أرقام المهاجرين اليهود خلال الثلاثينات من القرن الماضي نتيجة الاضطهاد النازي

وهكذا نجد أن فلسطين تحت الاحتلال البريطاني قد عاشت مؤامرة رهيبة،إذ زاد عدد اليهود من 55 ألف (08 %) من السكان سنة 1918 إلى 646 ألف (31.7%) من السكان سنة 1948.

ورغم الجهود اليهودية البريطانية للحصول على الأراضي ،إلا أن اليهود لم يتمكنوا من الحصول سوى على نحو 06 % من الأراضي بفلسطين بحلول 1948 ،كان معظمها أراض حكومية أو أراض باعها اقطاعيون غير فلسطينيين كانوا يقيمون بلبنان وسورية ...وقد بنى اليهود على هذه الأراضي 291 مستعمرة .

وخلال فترة الاحتلال البريطاني لفلسطين،نجد أنها قامت بتشجيع اليهود على التسلح وتشكيل قوات عسكرية،في مقابل نزع سلاح الفلسطينيين ..وهو ما أدى إلى تشكيل 70 ألف مقاتل يهودي في 1948 ضمن ما يعرف بمجموعات (الهاغاناه،والأرغون،والشتيرن ..).

وأسس اليهود الوكالة اليهودية سنة 1929 والتي تولت شؤون اليهود في فلسطين،وأصبحت أشبه بدولة داخل الدولة،وأقام اليهود في هذه الفترة مؤسسات اقتصادية واجتماعية وتعليمية ..شكلت بنية تحتية قوية للدولة اليهودية القادمة فتأسس اتحاد العمال (الهستدروت) وافتتحت الجامعة العبرية بالقدس سنة 1925.

أمام هذا الواقع الذي حاول الاحتلال البريطاني فرضه على أرض فلسطين ،قامت الفلسطينيون بمحاولات عديدة لمقاومة هذا الوضع ، من خلال نشاط سياسي حثيث قامت به الحركة الوطنية الفلسطينية بدأ من المؤتمر العربي الفلسطيني المنعقد في القدس (27 جانفي إلى 10 فيفري 1919) والذي رفض فيه تقسيم بلاد الشام ..واعتبار فلسطين جزءا من سورية ..وقد عقد الفلسطينيون 07 مؤتمرات من هذا النوع حتى سنة 1928.

وبزر في هذه الفترة قيادات فلسطينية أهمها موسى كاظم الحسيني ، والحاج أمين الحسيني

وخلال الفترة (1918-1929) ركزت الحركة الوطنية الفلسطينية على المقاومة السلمية للمشروع الصهيوني ومحاولة اقناع بريطانيا بالعدول عن وعد بلفور.

أما الفترة (1929-1939) فبدأت بثورة البراق التي كانت فاتحة لتصاعد المقاومة الجهادية العنيفة للمشروع الصهيوني وللاستعمار البريطاني ..وقد وصلت ذروتها في الثورة الفلسطينية الكبرى (1936-1939) ..حيث كانت نتيجة فقد الفلسطينيون للأمل في الحصول على حقوقهم بالوسائل السلمية والقانونية،وعلق الحاج أمين الحسيني على تلك المرحلة قائلا : (**كنا مانزال حتى سنة 1932 على شيء من الأمل،ولكنه زال مع الزمن...لم يكن أمامنا غير الشهادة**).

وشهدت هذه الفترة ظهور حركات فلسطينية مسلحة مثل ((حركة الجهادية)) بقيادة عز الدين القسام، ومنظمة ((الجهاد المقدس)) بقيادة عبد القادر الحسيني.

3. مرحلة اعلان قيام الدولة الصهيونية والحروب العربية الصهيونية (1948-1973) :

أعلنت الحركة الصهيونية قيام " دولة اسرائيل " في مساء 14 ماي 1948.

وقد نتج عن هذا الاعلان قيام الحرب العربية الصهيونية الأولى ،حيث شكلت الدول العربية ما سمي ب:" جيش الانقاذ" ،وساهمت في تشكليه سبعة دول عربية،لكن لم يزد تعداد مقاتليه عن 24 الف مقاتل في مقابل اكثر من 70 الف صهيوني،وقد عانى هذا الجيش العربي من ضعف التنسيق بين فرقه وجهله بالأرض ومن ضعف التسليح وقدمه وحتى فساده،وفساد قياداته.

كانت حماسة أبناء فلسطين وابناء الشعوب العربية والاسلامية هائلة نحو الجهاد والتضحية،لكن القيادات السياسية والجيوش كانت عامل احباط وفشل كبير.

ونتيجة لهذه الحرب تمكنت العصابات الصهيونية من الاستلاء على نحو 77 % من أرض فلسطين،وتشريد حوالي 58 % من الشعب الفلسطيني من أرضهم،ودمروا 478 قرية ،وارتكبوا 34 مجزرة بالمدنيين الفلسطينيين في اثناء عملية التهجير. (مذبحة دير ياسين/ 254 شهيد بين امرأة وطفل).

وفي حرب 1967 احتل الكيان الصهيوني ما تبقى من أراض فلسطينية بعد حرب 1948 (قطاع غزة والضفة الغربية والقدس)،وقد أسفرت هذه الحرب عن هجرة ثانية للفلسطينيين تقدر بحوالي نصف مليون شخص.

4. مرحلة بروز الهوية الوطنية الفلسطينية (1974-1988)

تتميز هذه المرحلة بتراجع البعد العربي للقضية الفلسطينية،وبروز الهوية الوطنية الفلسطينية من خلال نجاح منظمة التحرير الفلسطينية في تحقيق الاعتراف بها كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني،وحصولها على مقعد مراقب في منظمة الأمم المتحدة.

تميزت هذه المرحلة بانتهاء حقبة الحروب العربية الرسمية مع الكيان الصهيوني..ودخول مصر في تسوية سلمية مع هذا الكيان.

اضافة إلى انه في هذه الفترة تم التضييق على العمل المسلح للفلسطينيين انطلاقا من دول الطوق (مصر،الأردن،سورية ،لبنان).

من أبرز أحداث هذه المرحلة،اندلاع انتفاضة أطفال الحجارة المباركة (1987/12/09) ،وتميزت ب :

1. زمام المبادرة النضالية جاءت من فلسطيني الداخل (الضفة والقطاع).
2. شملت كل فئات الشعب الفلسطيني واتجاهاته وفئاته العمرية.
3. بروز التيار الاسلامي الفلسطيني على ساحة المواجهة (حماس / الجهاد الاسلامي).

من أدواتها :

الاضرابات / المظاهرات / مقاطعة الادارة المدنية الصهيونية/

تختتم هذه المرحلة بإعلان المجلس الوطني الفلسطيني قيام دولة فلسطين خلال اجتماعه في الجزائر العاصمة عام 1988.

5.مسار عملية السلام ،والمراوحة في المكان (1991-2022)

بعد حرب الخليج الثانية بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تصوغ سياستها الشرق الأوسطية،وهذا في ظل المتغيرات الدولية الكبيرة التي شهدها العالم في تلك الفترة..حيث دعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى عقد مؤتمر للسلام في مدريد يوم 30 أكتوبر 1991 من أجل تسوية الصراع العربي الصهيوني.وذلك استنادا إلى قراري مجلس الأمن (1967/242) و (1973/338) ،لكن تميزت جلسات هذا المؤتمر بمواقف متعارضة ومتناقضة بين الأطراف العربية والكيان الصهيوني..حيث ظهر أن الكيان الصهيوني لا يملك النية والاستعداد اللازمين للتوصل إلى سلام عادل وأنه يرفض الشرعية الدولية ويرفض الأساس الذي تمت الدعوة بموجبه لعقد مؤتمر مدريد (مبدأ الأرض بالسلام).

بعد انتهاء مؤتمر مدريد للسلام 1991 جرت مجموعة من المفاوضات الاسرائيلية الفلسطينية بين الفترة (1991-1993) توجت باتفاقية أسلو عام 1993 ،تم بموجبها الاعتراف المتبادل بين حكومة اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية كممثل للشعب الفلسطيني،والتوقيع على اعلان المبادئ المتعلق بترتيبات الحكم المؤقت ،فضلا عن اتفاقات التنفيذ اللاحقة التي أدت إلى الانسحاب الجزئي للقوات الاسرائيلية ،وإلى انتخاب المجلس

الفلسطيني،ورئاسة السلطة الفلسطينية،والافراج الجزئي عن السجناء ،وانشاء إدارة فعالة في المناطق الخاضعة للحكم الذاتي الفلسطيني.[1]

عقب اتفاق أسلو جرت عدة جولات للمفاوضات بين الفلسطينيين والاسرائليين خاصة مؤتمر كامب ديفد عام 2000.لكنها لم تكلل بأي تقدم .

ونتيجة لفشل تلك المفاوضات وللزيارة المشؤومة التي قام بها أرييل شارون إلى الحرم المقدسي وتدنيسه ،قامت الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى) والتي هزت أركان الأمن والاقتصاد الاسرائيلي والتي أبرزت تمسك الشعب الفلسطيني بحقوقه وأرضه ومقدساته.كما أظهرت تلك الانتفاضة مكانة حركة حماس كلاعب رئيسي في الساحة الفلسطينية.

في2002 تم الشروع في بناء جدار الفصل العنصري بين الصهاينة المحتلين والفلسطينيين في الضفة الغربية والذي قضت محكمة العدل الدولية بعدم شرعيته.

كما شهدت هذه الفترة أيضا (2002) ميلاد المبادرة العربية للسلام المنبثقة عن قمة الجامعة العربية المنعقدة ببيروت 2002 .

في 2005 انسحبت القوات الصهيونية من قطاع غزة وفككت المستوطنات الموجودة هنالك لكنها بقيت مسيطرة على الحدود والشاطئ البحري والمجال الجوي.

في 2007 ظهرت حالة من الانقسام الفلسطيني بين حركي حماس وفتح،أدى إلى انقسام جغرافي في ادارة السلطة بين رام الله بقيادة فتح وغزة بقيادة حماس.أدى هذا الصراع إلى فرض حصار على قطاع غزة منذ ذلك الوقت إلى غاية يومنا هذا.

في 2011 قدمت السطلة الفلسطينية طلبا للأمم المتحدة للحصول على العضوية في الأمم المتحدة .

في 2008 و 2012 و 2014و 2019 و 2021و 2022 وقعت اعتداءات صهيونية على قطاع غزة ...وكانت خلالها جولات قتال بين فصائل المقاومة الفلسطينية بقطاع غزة والمحتل الصهيوني .أوقعت الآلاف من الشهداء في صفوف الفلسطينيين.

[1] للتوسع في تفاصيل تلك المفاوضات أكثر يمكن الاطلاع على كتاب دراسات في تاريخ القضية الفلسطينية، تأليف : سمير بهلوان، ومحمد حبيب صالح.

تميزت هذه المرحلة بالمراوحة في المكان،ذلك أن الاستراتيجية التفاوضية الصهيونية قامت على أساس ((إدارة الصراع)) وليس ((حل الصراع))..مستحضرين مقولة اسحاق رابين ((لا مواعيد مقدسة)). حيث باءت كل المفاوضات والاتفاقيات المعقودة بين الفلسطينيين وهذا الكيان المحتل بالفشل..ذلك أن هذا الكيان المحتل دائما ما كان يتراجع عن أي اتفاق بينه وبين الفلسطينيين .

وشهدت نهاية هذه الفترة ظهور ما يسمى بصفقة القرن ،التي كانت تهدف إلى تصفية القضية الفلسطينية من خلال تجاوز ما يسمى بعملية السلام واتفاقيات أسلو القائمة على مبدأ الأرض مقابل السلام إلى مبدأ جديد عنوانه السلام مقابل السلام ..أين المطلوب من الفلسطينيين نسيان قضية القدس وعودة اللاجئيين والعودة إلى حدود ما قبل 05 يونيو 1967 ..والاكتفاء بدلا من ذلك بحكم ذاتي مصغر في جزء من الضفة الغربية وغزة وبعض الاصلاحات الاقتصادية والدولارات التي تستثمر في الجانب الفلسطيني ،ليتم بذلك حسب الصفقة تصفية القضية الفلسطينية للأبد .

وهذا في مقابل حركة نشطة وهرولة من بعض الأنظمة العربية في اتجاه تطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني المحتل وتوقيع اتفاقيات سلام مثل اتفاقية ابراهام 2020 .

هذا الجو العالمي الذي بدأ يسيطر على راهن القضية الفلسطينية خصوصا مع مجيئ دونالد ترامب إلى سدة الرئاسة الأمريكية ..جعل المتابعين يتوجسون من قرب تصفية القضية الفلسطينية ،خاصة وأن كل المؤشرات كانت تدل على ذلك(انقسام عربي رسمي / انهاك للشعوب العربية بعد أحداث الربيع العربي/ انقسام طائفي حاد بين مختلف مكونات العالم العربي والاسلامي/ تشرذم الفصائل الفلسطينية / تراجع الدعم العالمي للقضية الفلسطينية / انهاك الشعب الفلسطيني نتيجة الحصار في غزة والحرب في سوريا /....)

كل هذه العوامل وغيرها تقول ظاهريا أن الاتجاه لتصفية القضية الفلسطينية يسير بخطى سريعة وثابتة،وانتصار الكيان المحتل صار أمرا واقعا وتقبله وسط الأمة العربية صار مرحب به...

هذا المشهد كان يحتاج إلى صدمة أو زلزال يحركه ويخلط الأوراق ويعيد القضية الفلسطينية إلى سطح الأحداث العالمية ...ولم يستمر انتظارنا لهذا الزلزال طويلا ...ليأتي طوفان الأقصى يوم 07 أكتوبر 2023 ويحدث ما كان مطلوبا ..ليعاد التأريخ للقضية الفلسطينية بين ما قبل طوفان الأقصى وما بعده

طوفان الأقصى ..وإعادة تموضع القضية الفلسطينية على قمة القضايا الدولية الراهنة :

على منوال القصص والأحداث الدرامية حين تصل الحبكة الدرامية إلى العقدة التي تتشابك فيها كل خيوط الأحداث ويعجز فيها القارئ أو المتفرج عن توقع ماذا بعد ؟ ..يأتي حدث ما دراماتيكي ليكسر ذلك الجمود ويفك العقدة ..

هذا المشهد الدرامي على مسرح الأحداث الدولية هو ما وقع إثر عملية طوفان الأقصى التي نفذتها كتائب القسام التابعة لحركة المقاومة الاسلامية حماس فجر 07 أكتوبر 2023..حيث كما أشرنا سابقا ..كانت كل المؤشرات تدل على أننا في طريقنا إلى انهاء الصراع العربي الصهيوني وانهاء القضية الفلسطينية باتفاقيات ثنائية بين بعض الأنظمة العربية والكيان المحتل ..سيكون من نتيجتها وضع الفلسطينيين أمام أمر واقع يقول. بحتمية التخلي عن مطلب استقلال فلسطين وقبول الفلسطينيين بما يقدم لهم .

لكن شاء الله تعالى،أن تأتي هذه العملية لتخلط كل الأوراق وتعيد ترتيب أهمية الأحداث على الساحة الدولية وعلى أجندة الاهتمام عند المواطن العربي وحتى الغربي ..فعادت بذلك القضية الفلسطينية قضية تحررية تلقى التأييد الشعبي والرسمي الدولي من أغلب دول العالم..ما عدا من بعض الدول المؤيدة للولايات المتحدة الأمريكية والكيان المحتل..

هذه العملية (طوفان الأقصى) اعادت احياء القضية وأعادت ضبط مفاهيم القضية الفلسطينية من تصفية القضية إلى تسوية القضية، حيث رسخت العملية قناعة لدى كل المجتمع الدولي أن الحل الوحيد هو منح الشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصيره كبقية شعوب العالم ، كما سحبت العملية أوراق المتاجرة بالقضية من بعض الأنظمة الخانعة والمنبطحة وأعادتها إلى أصحابها الفلسطينيين.

في الأخير نقول ..قد لايزال الوقت مبكرا لمعرفة نتائج هذه العملية ،لكن الارهاصات والدلائل الأولية ،تقول أن قطار تسوية القضية الفلسطينية قد أعيد إلى سكته الصحيحة ،ومن تلك اللحظة التاريخية لن يصبح بالإمكان القضاء في مصير الفلسطينيين في غيابهم،فقد مكنتهم عملية طوفان الأقصى من امتلاك زمام مصيرهم، ومهدت لهم كل هذه الدماء والتضحيات والشهداء الطريق للوصول إلى الهدف المنشود ،وهو دولة فلسطين مستقلة وعاصمتها القدس الشريف.